

التفسير المحرر 19-10119-1.0

وقال الكفار الذين لا يطمعون في لقائنا، فلا يرجون ثوابنا ولا يخافون عقابنا؛ لإنكارهم البعث: هَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ، أَوْ نَرَى اللَّهَ بِأَعْيُنِنَا فَنُؤْمِنَ؟! لقد تكبر الكفار الذين تجرؤوا على اقتراح ذلك، وتعظموا في أنفسهم، وتجاوز أولئك الكفار الحد في الكبر والظلم والطغيان، باقتراحهم ذلك .

يوم يرى الكفار ملائكة الموت حين تنزل لقبض أرواحهم، ويرون ملائكة العذاب في البرزخ ويوم القيامة؛ فلا تبشّر الملائكة المجرمين يوم يرونها بالخير، بل بالخيبة والخسران، ويقول الملائكة للكفار: حَرَامٌ مَحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ الْفَلَاحُ الْيَوْمَ.

وعمدنا يوم القيامة إلى ما عمل هؤلاء المجرمون في الدنيا من العبادات وأعمال البر والخير، فأحبطناها وأبطلناها، حتى صارت كالهباء المتفرق المتبدد، فلا ينتفع منها صاحبها بشيء أصلاً.

أهل الجنة بسبب ما عملوه من الأعمال المتقبلة أفضل منزلاً في الجنة، وأحسن موضع قائلة.

واذكر أيها الرسول يوم القيامة حين تتشقق السماء عن سحب أبيض رقيق، وتنزل الملائكة يوم القيامة من السموات إلى أرض المحشر تنزيلاً.

السُّلْطَانُ -يَوْمَ الْقِيَامَةِ- المؤكّد الثابت الذي لا يزول: للرحمن وحده دون غيره من ملوك الأرض، وكان يوم القيامة يوماً صعباً شديداً على الكافرين.

واذكر يوم القيامة حين يعض الظالم المخالف لطريق الرسول على يديه؛ ندماً وحسرةً وأسفاً، يقول هذا الظالم: يا

لَيْتَنِي اتَّبَعْتُ فِي الدُّنْيَا طَرِيقَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَلَمْ أَخْلِفْهُ؛
لَأَنْجُوَ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ، وَأَصِلَ إِلَى جَنَّتِهِ.

يَقُولُ هَذَا الظَّالِمُ: يَا هَلَكَ! لَيْتَنِي لَمْ أَجْعَلَ مَنْ أَغْوَانِي فِي
الدُّنْيَا صَدِيقًا وَحَبِيبًا لِي.

لَقَدْ صَرَفَنِي مَنْ اتَّخَذْتُهُ فِي الدُّنْيَا خَلِيلًا عَنِ الْقُرْآنِ بَعْدَ بُلُوغِهِ
إِلَيَّ، وَصَدَّنِي عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ: وَإِنَّ مِنْ عَادَةِ الشَّيْطَانِ وَصْفَتِهِ
الْمَجْبُولِ عَلَيْهَا: أَنْ يَخْذُلَ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَتَّبِعُهُ، وَيَتْرَكَ إِعَانَتَهُ
وَنَصْرَهُ.

وَقَالَ الرَّسُولُ مُشْتَكِيًا فِي الدُّنْيَا إِلَى رَبِّهِ: يَا رَبِّ، إِنَّ كُفَّارَ
قَوْمِي تَرَكَوا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَهَجَرُوهُ؛ لَا يَسْمَعُونَهُ وَلَا
يَتَذَكَّرُونَهُ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِأَحْكَامِهِ!

وَكَمَا جَعَلْنَا لَكَ -يَا مُحَمَّدُ- أَعْدَاءَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، كَذَلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ أَعْدَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ
يُعَارِضُونَهُمْ وَيُؤْذِنُونَهُمْ؛ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوكَ الرُّسُلُ مِنْ
قَبْلِكَ، وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا يَهْدِيكَ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى مَصَالِحِ الدِّينِ
وَالدُّنْيَا، وَنَاصِرًا لَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ، فَلَا تُبَالِ بِمَنْ عَادَاكَ، وَاصْبِرْ
وَامْضِ لِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ، مَتَوَكِّلًا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

وَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: هَلَّا نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْقُرْآنَ دَفْعَةً
وَاحِدَةً، وَلَمْ يُنَزَّلْ مُفْرَقًا؟ كَذَلِكَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ -يَا مُحَمَّدُ-
مُفْرَقًا؛ لِنَقْوِيَ قَلْبَكَ فَتَعْيِيهِ وَتَحْفَظَهُ، وَتَزِدَادَ يَقِينًا وَطُمَأْنِينَةً وَثَبَاتًا،
أَنْزَلْنَاهُ مُفْرَقًا عَلَى نُودَةٍ وَتَمَهُّلٍ، شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، آيَاتٍ ثُمَّ آيَاتٍ،
وَبَيِّنَاتٍ تَبَيِّنًا.

وَلَا يَذْكُرُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ شُبُهَةً أَوْ اقْتِرَاحًا يُعَارِضُونَ بِهِ
الْحَقَّ وَيَطْعَنُونَ بِهِ فِيهِ، إِلَّا أَنْزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا يُبْطِلُ شُبُهَتَهُمْ،

وَيَرْذُ خُبَّتَهُمْ بِأَحْسَنَ مِمَّا جَاؤُوا بِهِ؛ بَيِّنًا وَّضُوحًا، وَفَصَاحَةً
وَتَفْصِيلًا.

الَّذِينَ يُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَهْرًا يُسَاقُونَ مَقْلُوبِينَ عَلَى
وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ: أُولَئِكَ شَرٌّ مَسْتَقَرًّا وَمُقَامًا فِي جَهَنَّمَ، وَأَضَلُّ
طَرِيقًا عَنِ الْحَقِّ.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الثَّوْرَةَ، وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ مُعِينًا لَهُ
يُقَوِّيه وَيُؤَيِّدُهُ.

فَقُلْنَا لِمُوسَى وَهَارُونَ: اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ الْقَبِطِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَبِرَاهِيقِنَا، فَذْهَبَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَيْهِمْ فَدَعَاوَاهُمْ
فَكَذَّبُوهُمَا، فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِالْعَرَقِ إِهْلَاكًا.

وَأَعْرَفْنَا قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا نُوحًا، وَجَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ وَهَارُونَ
عِبْرَةً لِلنَّاسِ وَعِظَةً، وَأَعَدَدْنَا فِي الْآخِرَةِ لِلظَّالِمِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ
وغيرهم عَذَابًا مُؤَلِّمًا مُوجِعًا؛ جَزَاءً عَلَى ظُلْمِهِمْ.

وَأَهْلَكْنَا أَيْضًا عَادًا قَوْمَ هُودٍ، وَثَمُودَ قَوْمَ صَالِحٍ، وَأَصْحَابَ
الْبَيْرِ، وَدَمَّرْنَا هُمْ لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَدَمَّرْنَا بَيْنَ تِلْكَ الْأُمَمِ
الْكَافِرَةِ -الَّتِي سَمَّيْنَاهَا- أُمَّةً أُخْرَى كَثِيرَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ.

وَكُلَّ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا أَقْمَنَّا عَلَيْهَا الْحُجَّةَ،
وَوَضَّحْنَا لَهَا الْآيَةَ بِذِكْرِ الْأَمْثَالِ؛ لِيَعْتَبِرُوا بِهَا وَيَتَّعِظُوا، وَكُلَّ
الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الْمَاضِيَةِ دَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا كَامِلًا، وَاسْتَأْصَلْنَاهَا
بِالْعَذَابِ.

وَلَقَدْ مَرَّ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَلَى قَرْيَةِ قَوْمِ لُوطٍ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ
بِالْحِجَارَةِ الَّتِي أَمْطَرَهَا عَلَيْهِمْ، أَفَلَمْ يَكُنْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَرَوْنَ فِي
أَسْفَارِهِمْ آثَارَ عَذَابِ اللَّهِ عَلَى قَرْيَةِ قَوْمِ لُوطٍ، فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا
بِمَا حَلَّ بِأَهْلِهَا؛ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ؟ مَا كَذَّبَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِمُحَمَّدٍ

لكونهم لم يَرَوْا ما حلَّ بقوم لوطٍ، وإنَّما كَذَّبُوا؛ لأنَّهم لا يُؤمِّلون
وُقُوعَ البَعثِ، فلا يَرجونَ ثوابًا، ولا يَخافونَ عذابًا في الآخرة.
وَإِذَا رَأَى -يا مُحَمَّدُ- كُفَّارُ فُرَيْشَ، لا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا سُخْرِيَّةً،
فهم دائِبُونَ على الاستِهْزاءِ والسُّخْريةِ بك، يقولون احتقارًا
لِلرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: أَهَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ
إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ؟!

يقولُ كُفَّارُ فُرَيْشٍ: لَقَدْ أَوْشَكَ هَذَا الرَّسُولُ أَنْ يَصْرِفَنَا
وَيَصُدَّنَا عَنْ عِبَادَةِ أَصْنَامِنَا بِحُجَجِهِ وَأَدِلَّتِهِ، لَوْلا أَنْ ثَبَّنَّا عَلَى
عِبَادَةِ آلِهَتِنَا فَمَسَّكُنَا بِهَا وَلَمْ نَقْبَلَ دَعْوَتَهُ! وَسَوْفَ يَعْلَمُ الْكُفَّارُ
حِينَ يَرَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ النَّازِلَ بِهِمْ مَنْ أخطأَ طَرِيقَ الْهُدَى: هُمْ أَمْ
مُحَمَّدٌ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ؟!

أَرَأَيْتَ -يا مُحَمَّدُ- مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَاِنْقَادَ إِلَيْهِ وَأَطَاعَهُ؟! أَفَأَنْتَ
-يا مُحَمَّدُ- تَكُونُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ حَفِيزًا تَمْنَعُهُ مِنَ الضَّلَالِ،
وتَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ؟! كَلَّا؛ فَلَيْسَتْ الْهَدَايَةُ وَالضَّلَالَةُ مُوَكَّلَتَيْنِ
إِلَيْكَ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ.

بَلْ أَتَظُنُّ -يا مُحَمَّدُ- أَنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَسْمَعُونَ الْحَقَّ
أَوْ يَعْقِلُونَهُ، حَتَّى تَطْمَعَ فِي إِيمَانِهِمْ؟! فَلْيَسُوا كَذَلِكَ، مَا
الْمُشْرِكُونَ إِلَّا كَالْبَهَائِمِ، بَلْ هُمْ أَسْوأُ حَالًا مِنْهُمْ!

أَلَمْ تَرَ -يا مُحَمَّدُ- إِلَى هَيْئَةِ بَسْطِ رَبِّكَ الظِّلَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
بَعْدِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ الظِّلَّ
مَمْدُودًا دَائِمًا لَا يَتَحَرَّكُ بزيادةٍ وَلَا نُقْصَانٍ؟! ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ
عِنْدَ طُلُوعِهَا دَالَّةً عَلَى الظِّلِّ؛ فَهُوَ يَتَّبِعُهَا، وَيَتَفَاوَتْ بِحَرَكَتِهَا.
ثُمَّ نَقَصْنَا ذَلِكَ الظِّلَّ الْمَمْدُودَ بِسَهُولَةٍ وَتَدْرِيجٍ.

والله هو الَّذِي جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ -أُيُّهَا النَّاسُ- غِطَاءً وَسِتْرًا
يَسْتُرُكُمْ وَيُغْشِيكُمْ بظُلَامِهِ، وجَعَلَ اللهُ لَكُمُ النَّوْمَ قَاطِعًا لِحَرَكَتِكُمْ
وأشْغَالِكُمْ، فتَسْتَرِيحُ بِهِ أَبْدَانُكُمْ، وجَعَلَ اللهُ لَكُمُ النَّهَارَ حَيَاةً بَعْدَ
نَوْمِكُمْ الَّذِي يُشْبِهُ الْمَوْتَ، وَيَقْطَعُهُ تَنْنَشِرُونَ فِي ضِيَائِهِ لَطْلَبِ
الْأَرْزَاقِ.

والله وَحْدَهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَبَشِّرُ النَّاسَ بِمَجِيءِ السَّحَابِ
وَتُزُولِ الْمَطَرُ قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَهُمْ بِتُزُولِهِ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّحَابِ مَاءَ
الْمَطَرِ، الطَّاهِرِ فِي نَفْسِهِ، الْمَطْهَرِ لِغَيْرِهِ.

لِنُحْيِيَ بِالْمَطَرِ أَرْضًا مُجْدِبَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا، وَنُسْقِيَ بِهِ كَثِيرًا
مِمَّا خَلَقْنَا مِنَ الْأَنْعَامِ وَالنَّاسِ، فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ، وَيَسْقُونَ بِهِ
زُرُوعَهُمْ.

ولقد قَسَمْنَا مَاءَ الْمَطَرِ بَيْنَ النَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَذَكَّرُوا
وَيَعْتَبِرُوا، فَلَمْ يَتَذَكَّرْ أَكْثَرُ النَّاسِ بِتَصْرِيفِ اللَّهِ لِلْمَطَرِ، وَأَصْرُوا
عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَجُحُودِ نِعَمِهِ، وَإِنْكَارِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

ولو شِئْنَا لَجَعَلْنَا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ رَسُولًا يُنْذِرُ النَّاسَ عَذَابَ اللَّهِ
وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّا خَصَصْنَاكَ -يَا مُحَمَّدُ- بِالرَّسَالَةِ إِلَى جَمِيعِ
النَّاسِ.

فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ -يَا مُحَمَّدُ- فِيمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ
آلِهَتِهِمْ، أَوْ فِي تَرْكِ شَيْءٍ مِمَّا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَجَاهِدِهِمْ بِالْقُرْآنِ
جِهَادًا شَدِيدًا بِكُلِّ طَاقَتِكَ بِلَا قُتُورٍ؛ نُصْرَةً لِلْحَقِّ، وَقَمْعًا لِلْبَاطِلِ.
والله وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الْبَحْرَيْنِ وَخَلَّاهُمَا، لَا يَخْتَلِطُ
أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، أَحَدُهُمَا شَدِيدُ الْعُذُوبَةِ، وَالْآخَرُ شَدِيدُ الْمُلُوحَةِ
وَالْمَرَارَةِ، وجَعَلَ اللهُ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَهُمَا حَاجِزًا، وَمَانِعًا حَصِينًا
يَمْنَعُهُمَا مَنَعًا شَدِيدًا مِنَ الْاِمْتِزَاجِ وَالْاِخْتِلَاطِ بَبَعْضِهِمَا.

والله وحده هو الذي خلق من المني إنساناً ذكراً أو أنثى، فجعل الله الإنسان ذا نسب، وذا صهر، ولم يزل ربك -يا محمد- مُنصِّفاً بكمال القدرة، ومن ذلك قدرته البالغة على خلق ما يشاء. ويعبدُ المشركون من دون الله آلهة لا تتفعُّهم بشيء، ولا تضرُّهم أبداً، ويتركون عبادة الله الذي خلقهم، وأنعم عليهم، ويملك نفَعهم وضرَّهم، وكان الكافر مُعيَّناً للشيطان وجزيه على عداوة الله؛ يُشركُ به ويعصيه، ويوالي أعداءه، ويحارب أوليائه!

وما أرسلناك -يا محمد- إلى الناس إلا لتبشِّر مَنْ آمَنَ بك واتَّبَعَكَ بالخير والثواب في الدنيا والآخرة، وتُنذِر مَنْ كَفَرَ بك وكذَّبَكَ وعصاك بالشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة. قُلْ -يا محمد- لِمَنْ أُرسلْتُك إليهم: أنا لا أسألكم على تبليغ رسالة الله إليكم مالاً، لكنَّ مَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ طَرِيقاً يَقْرِبُهُ إِلَى اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يُنْفِقَ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. واعْتَمِدْ -يا محمد- على الله الذي له الحياة الكاملة الدائمة التي لا موتَ معها أبداً، وفوضْ أمورك كُلَّها إليه وحده لا إلى غيره، ونزِّهْ رَبَّكَ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ، مُثْنِياً عَلَيْهِ بِصِفَاتِ كَمَالِهِ، شَاكِراً لَهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَحَسْبُكَ رَبُّكَ الْخَبِيرُ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ، فلا يخفى عليه شيءٌ منها، وسيُجازيهم عليها يومَ القيامة.

تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ عَلَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ عَلَى عَرْشِهِ غُلُواً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، فَاسْأَلْ عَنِ الرَّحْمَنِ عَالِماً يُخْبِرُكَ عَنْهُ وَعَنْ عَظَمَتِهِ، وَعَنْ خَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ.

وَإِذَا قِيلَ لِأَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ: اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِالنِّعَمِ، وَدَفَعَ عَنْكُمْ النِّقَمَ دُونَ غَيْرِهِ؛ قَالُوا مُتَعَجِّبِينَ مُنْكَرِينَ لِاسْمِهِ الرَّحْمَنِ: لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ! أَنْطِيعُكَ -يَا مُحَمَّدٌ- فَنَسْجُدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لِمَجْرَدِ قَوْلِكَ وَأَمْرِكَ بِذَلِكَ؟! وَزَادَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرُهُمُ بِالسُّجُودِ لِلرَّحْمَنِ كِرَاهِيَةً وَفِرَارًا مِنَ الْحَقِّ.

تَعَاظَمَ اللَّهُ، وَكَمَلَتْ أَوْصَافُهُ، وَكَثُرَتْ خَيْرَاتُهُ، وَدَامَتْ بَرَكَاتُهُ، فَهُوَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ مَنَازِلَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي مَسِيرِهِمَا، وَخَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ شَمْسًا مُشْرِقَةً تَبْعَثُ النُّورَ وَالْحَرَارَةَ، وَقَمَرًا مُضِيئًا فِي اللَّيْلِ.

وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بَحِثُ يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، فَهُمَا يَتَعَقَبَانِ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمِعَانِ، جَعَلَ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَظِرَ وَيَعْتَبِرَ وَيَتَفَكَّرَ فِي اخْتِلَافِهِمَا، أَوْ أَرَادَ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، فَيَعْبُدُهُ فِيهِمَا، وَيَسْتَدْرِكُ مَا فَاتَهُ فِي أَحَدِهِمَا فَيَعْمَلُهُ فِي وَقْتِ الْآخَرِ.

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ هُمُ الَّذِينَ يَمْشُونَ بِحِلْمٍ وَسَكِينَةٍ، وَوَقَارٍ وَتَوَاضُعٍ، وَرَفَقٍ وَلِينٍ، مِنْ غَيْرِ مَرَحٍ وَتَكَبُّرٍ وَتَجَبُّرٍ، وَسَعْيٍ لِلْإِفْسَادِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ السُّفَهَاءُ بِمَا يَكْرَهُونَهُ، أَجَابُوهُمْ بِقَوْلٍ سَدَادٍ وَصَوَابٍ، وَيَعْفُونَ عَنْهُمْ وَيَصْفَحُونَ، فَيَسْلَمُونَ مِنَ الْإِثْمِ، وَمِنْ مُقَابَلَةِ جَهْلِهِمْ بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ تَطَاوُلِهِمْ فِي أَذْيَتِهِمْ.

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي اللَّيْلِ مُخْلِصِينَ لِرَبِّهِمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ بَيْنَ سُجُودٍ وَقِيَامٍ.

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ خَوْفًا وَحَذَرًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ: رَبَّنَا ادْفَعْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ، بَتَوْفِينَا لِلطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، وَبِتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِنَا، إِنَّ عَذَابَ جَهَنَّمَ مُلَازِمٌ لِأَهْلِ النَّارِ لَا يُفَارِقُهُمْ، مُهْلِكٌ لَهُمْ. إِنَّ جَهَنَّمَ قَبِحتْ مَنْزِلًا يَسْتَقِرُّ فِيهِ أَهْلُهَا، وَبُنِستْ مَوْضِعَ إِقَامَةٍ يُمْكِنُونَ فِيهَا.

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَغَيْرِهِمْ، لَمْ يُجَاوِزُوا الْحَدَّ فِي إِنْفَاقِهَا فَيُبَذَّرُوا، وَلَمْ يُقَصِّرُوا فِي النَّفَقَةِ عَنْ قَدْرِ الْحَاجَةِ فَيَبْخُلُوا، وَكَانَ إِنْفَاقُهُمْ مُعْتَدِلًا وَسَطًا بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالنَّقْتِيرِ.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا آخَرَ، بَلْ يُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا يَقْتُلُونَ مَنْ حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهُمْ إِلَّا بِسَبَبٍ شَرَعِيٍّ يَخُولُ قَتْلَهُمْ، وَلَا يَقْعُونَ فِي الزَّنا، وَمَنْ يَفْعَلْ تِلْكَ الْأَفْعَالِ يَجِدْ جَزَاءَهُ وَعِقَابَهُ فِي الْآخِرَةِ.

يُعْظِظُ اللَّهُ لَهُ عَذَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُكْرِّرُهُ، وَيَبْقَى الْمُشْرِكُ الْعَاصِي فِي الْعَذَابِ الْمُضَاعَفِ إِلَى الْأَبَدِ دَلِيلًا حَقِيرًا. إِلَّا مَنْ تَابَ فَتَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَقْلَعَ عَنْهُ، وَأَمَنَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلَ أَعْمَالًا صَالِحَةً بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ وَمُتَابَعَةٍ لِرَسُولِهِ. فَأُولَئِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ مَكَانَ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَسْتُرْ ذُنُوبَ التَّائِبِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُوَآخَذَتِهِمْ بِهَا وَيَرْحَمُهُمْ، فَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

وَمَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ بَعْدَ تَوْبَتِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ رُجُوعًا صَاحِحًا حَسَنًا، مَقْبُولًا مَرْضِيًّا.

وَالَّذِينَ لَا يَحْضُرُونَ شَيْئًا مِنَ الْبَاطِلِ، وَيجْتَنِبُونَ جَمِيعَ الْمَجَالِسِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى أَقْوَالٍ أَوْ أَعْمَالٍ مُحَرَّمَةٍ، وَإِذَا صَادَفَ أَنْ

مَرُّوا بما لا فائدة فيه؛ سواءً كان قولاً أو فعلاً، فسمِعوه أو رَأَوْه
-مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُمْ-، أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَأَكْرَمُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْ
الْخَوْضِ وَالْمِشَارَكَةِ فِيهِ.

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ بِهِمْ مُذَكِّرَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ، لَمْ يَقْبَلُوهَا بِالْإِعْرَاضِ
عَنْهَا، وَالصَّمَمِ عَنْ سَمَاعِهَا، وَصَرَفِ النَّظَرِ وَالْقُلُوبِ عَنْهَا،
كَالْكَافِرِ الَّذِينَ إِنْ ذُكِّرُوا بِهَا أَنْكَرُوا وَكَذَّبُوا، وَأَقَامُوا عَلَى
كُفْرِهِمْ، كَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ.

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ قَائِلِينَ: رَبَّنَا أَصْلِحْ أَزْوَاجَنَا وَأَوْلَادَنَا
وَأَحْفَادَنَا، فَتُسَرَّ فِي الدُّنْيَا بِرُؤْيَيْهِمْ عَلَى طَاعَتِكَ، وَفِي الْآخِرَةِ
بَدْخُولِ جَنَّتِكَ، وَاجْعَلْنَا قُدْوَةً لِلَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ أَوْامِرَكَ، وَيَجْتَنِبُونَ
نَوَاهِيكَ، فَيَقْتَدُونَ بِنَا فِي الْخَيْرِ.

عِبَادُ الرَّحْمَنِ الْمُتَصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ يُثَبِّتُهُمُ اللَّهُ الْعَرْفَ
الْعَالِيَةَ فِي الْجَنَّةِ؛ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُسْتَقْبَلُ عِبَادُ
الرَّحْمَنِ فِي الْعَرْفِ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ.

مَآكِنُهُمْ فِي الْعَرْفِ، لَا يَمُوتُونَ، حَسُنَتْ تِلْكَ الْعَرْفُ قَرَارًا
لَأَهْلِهَا، وَمَكَانَ إِقَامَةٍ لَهُمْ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِمَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِمْ: لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ إِلَيَّ لَمَا بَالَى،
وَلَا اكْتَرَتْ بِكُمْ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- بِالْحَقِّ، فَسَوْفَ
يَكُونُ الْعَذَابُ مُلَازِمًا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ جَزَاءَ تَكْذِيبِكُمْ.

هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ الَّتِي افْتَتِحَتْ بِهَا هَذِهِ السُّورَةُ
وغيرُهَا، تَأْتِي لِبَيَانِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تُظْهَرُ عَجَزُ الْخَلْقِ
عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا.

تلك آيات القرآن البين، الواضح صدقه، المظهر ببيانه ما فيه من الهدى والحق.

لعلك -يا محمد- مهلك نفسك غمًا وأسفًا؛ لعدَم إيمان قومك بما جنتهم به من الحق، فلا تهلك نفسك بحزنك عليهم؛ فما عليك إلا البلاغ، والله يهدي من يشاء.

لو شئنا لأنزلنا على هؤلاء الكفار معجزة ظاهرة من السماء تضطرهم إلى الإيمان، فينقادوا للحق قهراً، ولكن أراد الله بحكمته أن يكون إيمان كل أحد اختيارياً.

وإذا أتى الكفار قرآن حديث النزول من الرحمن؛ ليتذكروا ويتعظوا ويتبعوه، أعرضوا عنه، فلم يؤمنوا به ولم يتدبروه!

فقد كذب الكفار بالقرآن الذي جاءهم من عند الله، فسيأتيهم في المستقبل صدق أخبار القرآن الذي استهزؤوا به؛ من هلاكهم، ونصر الله نبيه، والبعث في الآخرة، ودخولهم النار.

أولم ير أولئك المشركون إلى الأرض، فينتفكروا في كثرة ما أنبتنا فيها من الأصناف الطيبة الحسنة النافعة؟! أنبتنا فيها من الأصناف الطيبة الحسنة النافعة؟!!

إن في إحياء الأرض وإنباتها بعد موتها لدلالة على قدرة الله على إحياء الموتى، وما أكثر هؤلاء المشركين بمؤمنين بالله تعالى وآياته.

وإن ربك -يا محمد- لهو القوي الغالب، القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بعباده، فلا يعاجلهم بعقابه، ويقبل توبة من آمن به.

واذكُر -يا محمد- حين كلم الله موسى وأمره أن يذهب إلى الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي، والظالمين لبني إسرائيل باستعبادهم واضطهادهم وسوءهم سوء العذاب.

وَالْقَوْمُ الظَّالِمُونَ هُمْ قَوْمُ فِرْعَوْنَ الْقَبِطُ، فَقُلْ لَهُمْ يَا مُوسَى:
أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ، فَتُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتْرَكُوا ظُلْمَ عِبَادِهِ؟
قال موسى: رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبَنِي فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَلَا
يَصَدِّقُوا أَنِّي رَسُولُكَ إِلَيْهِمْ.

وَيَضِيقُ صَدْرِي بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِنِّي، فَلَا يَنْشَرُحُ، وَيَنْحَسِرُ
لِسَانِي عِنْدَ مُخَاطَبَةِ فِرْعَوْنَ، فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبَيِّنَ لَهُ مَا أُرْسَلْتُ
بِهِ، فَأَوْح -يَا رَبِّ- إِلَى أَخِي هَارُونَ؛ لِيَكُونَ رَسُولًا مَعِيَ
فِيُعِينَنِي.

وَلِقَوْمِ فِرْعَوْنَ دَعَاوَى ذَنْبٍ يَطْلُبُونَنِي بِهَا؛ لِقَتْلِي مِنْهُمْ رَجُلًا،
فَأَخَشَى أَنْ يَقْتُلُونِي بِهِ.

قال الله لموسى: لَنْ يَقْتُلَكَ قَوْمُ فِرْعَوْنَ، فَادْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ
هَارُونَ إِلَيْهِمْ بِمُعْجَزَاتِنَا الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِكُمَا، إِنِّي مَعَكُمْ بِالتَّائِيدِ
وَالْحَفِظِ، أَسْمَعْ مَا سَتَقُولَانِ لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَمَا سَيَرُدُّونَ بِهِ
عَلَيْكُمَا.

فَأَتَيَا -أَنْتَ وَهَارُونُ- إِلَى فِرْعَوْنَ فَقُولَا لَهُ: إِنَّا مُرْسَلَانِ إِلَيْكَ
مِنْ خَالِقٍ وَمَالِكٍ وَمُدَبِّرِ الْعَالَمِينَ.

أَنْ أَطْلُقْ -يَا فِرْعَوْنُ- بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَهْرِكَ وَعَذَابِكَ،
وَاتْرُكْهُمْ يَسِيرُونَ مَعَنَا إِلَى الْأَرْضِ الْمَقْدَّسَةِ؛ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ وَيُقِيمُوا
دِينَهُ.

قال فِرْعَوْنُ لموسى: أَلَمْ نَقَمْ بِتَرْبِيَّتِكَ مِنْذُ كُنْتَ صَغِيرًا فِي
الْمَهْدِ؟ وَمَكُنْتَ عِنْدَنَا سِنِينَ كَثِيرَةً مِنْ عُمْرِكَ تَتَنَعَّمُ بِخَيْرَاتِنَا!
وَقَتَلْتَ رَجُلًا مِنَّا مِنَ الْقَبِطِ كَمَا تَعْلَمُ، وَالْحَالُ أَنَّكَ مِنَ
الْجَاغِدِينَ لِنِعْمَتِنَا عَلَيْكَ؛ حَيْثُ جَازَيْتَنَا عَلَى تَرْبِيَّتِنَا لَكَ بِقَتْلِ
رَجُلٍ مِنَّا!

قال موسى مُجِيبًا لِفِرْعَوْنَ: قَتَلْتُ الْقِبْطِيَّ خَطَاً وَأَنَا مِنَ
الْجَاهِلِينَ، قَبْلَ أَنْ يُوحِيَ اللَّهُ إِلَيَّ بِالرَّسَالَةِ.
فَخَرَجْتُ مِنْ بَيْنِكُمْ هَارِبًا مِنْكُمْ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَقْتُلُونِي بِذَلِكَ
الْقِبْطِيَّ، فَأَعْطَانِي رَبِّي عِلْمًا، وَجَعَلَنِي رَبِّي مِنْ جُمْلَةِ رُسُلِهِ؛
لَأُبَلِّغَكُمْ رَسُولَاتِهِ.

وَتَمُنُّ عَلَيَّ - يَا فِرْعَوْنُ - بِتَرْبِيَّتِكَ لِي وَإِنْعَامِكَ عَلَيَّ، وَقَدْ
اتَّخَذْتُ قَوْمِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبِيدًا لَكَ، فَكَيْفَ تَمُنُّ عَلَيَّ بِهَذِهِ
النِّعْمَةِ أَنْ اسْتَعْبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَسْتَعْبِدْنِي، فَهَذِهِ لَيْسَتْ
نِعْمَةً؟!

قال فِرْعَوْنُ مُنْكَرًا مَعْرِفَتَهُ بِاللَّهِ: وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي
تَزْعُمُ - يَا مُوسَى - أَنَّهُ أَرْسَلَكَ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ؟!
قال موسى: هُوَ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا لِكُفْهِ
وَمُدْبِرِ هُنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، فَإِنْ كُنْتُمْ تُوقِنُونَ حَقًّا فَأَيَقِنُوا بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْخَالِقُ؛ لظُهُورِ ذَلِكَ بِلا خَفَاءٍ.

قال فِرْعَوْنُ لِلَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ: أَلَا تَسْتَمِعُونَ إِلَى
مَا يَقُولُهُ مُوسَى، وَتَعْجَبُونَ مِنْ قَوْلِهِ؟!

قال موسى: اللَّهُ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ هُوَ رَبُّكُمْ الَّذِي
خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَمَا لَكُمْ وَمُدْبِرُ شُؤْنِكُمْ،
فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَنْ سِوَى اللَّهِ رَبًّا؟!

قال فِرْعَوْنُ مُتَهَكِّمًا: إِنَّ مُوسَى الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ إِلَيْكُمْ
لَا عَقْلَ لَهُ، وَيَقُولُ مَا لَا نَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ!

قال موسى لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ هُوَ
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا يَحْدُثُ فِيهِمَا، وَلَيْسَ مِثْلُهُ

ناقصًا كملككم، فإن كانت لكم عقولٌ تعرفونَ بها صِحَّةَ كلامي،
فأمنوا باللهِ وحده.

قال فرعونُ متهدِّدًا موسى عليه السَّلامُ: لئنُ أصرَّرتَ -يا
موسى- على عبادةِ معبودٍ غيري، لأصيرنَّكَ من جُملةِ
المحبوسينَ المعذَّبينَ في سُجوني.

قال موسى عليه السَّلامُ لفرعونَ: أتسجنُنِي حتَّى وإنُ أتيتُكَ
بمُعجزةٍ ظاهرةٍ وبرهانٍ قاطعٍ يُبينُ لك صِدقي وصِحَّةَ ما جئتُ
به؟!!

قال فرعونُ لموسى عليه السَّلامُ: فأتِ بهذا الشَّيءِ المُبينِ إن
كنتَ صادقًا في دُعواكَ.

فرمى موسى عصاهُ إلى الأرضِ، فانقلبت حَيَّةً ضَخْمَةً في
غايةِ الوُضوحِ لِمَن يراها.

وأخرج موسى يدهُ -من فتحةِ قميصه العلويَّةِ من جهةِ العُنُقِ-
بيضاءَ تلمعُ لجميعِ النَّاظِرينَ إليها في مجلسِ فرعونَ.

قال فرعونُ للأشرافِ الَّذِينَ مِن حَوْلِهِ: إِنَّ هذا لساحِرٌ بارِعٌ،
نوَ عِلْمٍ وِدْرَايَةٍ فائِقَةٍ بالسَّحَرِ، يُخَيِّلُ إلى النَّاسِ أَنَّ عصاهُ تنقلبُ
حَيَّةً، وأنَّ يدهُ تصيرُ بَيضاءَ!

يريدُ أن يُخرِجَكُم مِن أرضِكُم مِصرَ بسحره، قال فرعونُ
لِمَن حَوْلَهُ: فماذا تُشِيرُونَ عَلَيَّ مِنَ الرَّأْيِ فِي شَأْنِهِ، وما نفعُهُ
به؟!!

قال الأشرافُ لفرعونَ مُشيرينَ عليه: أَخْرُ موسى وأخاه
هارونَ وأمهْلُهُما، وابعثْ -يا فرعونُ- في مُدُنِ مملكتِكَ مَنْ
يجْمَعُونَ منها السَّحرةَ إليك.

يأتوكَ بجميعِ السَّحرةِ المَهرةِ؛ ليعارضوا ما جاء به موسى.

فَجَمَعَ الْحَاشِرُونَ السَّحَرَةَ مِنَ الْمُدُنِ لِلْوَقْتِ الْمَحَدِّ
لِاجْتِمَاعِهِمْ.

وَقِيلَ لِأَهْلِ مِصْرَ: هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لِتَنْتَظِرُوا إِلَى مَا يَفْعَلُ
الْفَرِيقَانِ، وَلِمَنْ تَكُونُ الْغَلْبَةُ؟

لَعَلَّنَا نَنْبُغِ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا سَيَغْلِبُونَ مُوسَى.
فَلَمَّا حَضَرَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: هَلْ سَتُعْطِينَا أَجْرًا إِنْ
غَلَبْنَا مُوسَى؟

قَالَ فِرْعَوْنُ لَهُمْ: نَعَمْ، سَأُعْطِيكُمْ أَجْرًا إِنْ غَلَبْتُمْ مُوسَى،
وَأَزِيدُكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَنْ أَجْعَلَكُمْ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ لَدَيَّ.

قَالَ مُوسَى لِلْسَّحَرَةِ: اطْرَحُوا فِي الْأَرْضِ مَا تُرِيدُونَ طَرَحَهُ
كَانَتْهُمَا مَا كَانَ.

فَطَرَحَ السَّحَرَةُ الْجِبَالَ وَالْعِصْيَ الَّتِي أَعْدَوْهَا لِلْبَحْرِ،
وَحَيَّلُوا لِلنَّاسِ أَنَّهَا حَيَّاتٌ تَسْعَى، وَقَالَ السَّحَرَةُ: بِعِظْمَةِ فِرْعَوْنَ
وَقُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ وَشِدَّةِ سُلْطَانِهِ، إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ مُوسَى.

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَأَخَذَتْ تَبْتَلُغُ بِسُرْعَةٍ جَمِيعَ مَا أَلْقَاهُ
السَّحَرَةُ مِنَ الْجِبَالِ وَالْعِصْيِ الَّتِي أَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّهَا حَيَّاتٌ
وَحَدَّعُوهُمْ بِذَلِكَ.

فَلَمْ يَتِمَّا لِكَ السَّحَرَةُ أَنْفُسَهُمْ لَمَّا شَاهَدُوا ذَلِكَ، وَعَرَفُوا صَدَقَ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ حَقٌّ، فَسَجَدُوا لِلَّهِ تَعَالَى
مُسْرِعِينَ بِلَا تَرَدُّدٍ.

قَالَ السَّحَرَةُ عِنْدَمَا سَجَدُوا لِلَّهِ: آمَنَّا بِخَالِقِ وَمَالِكِ وَمَدَبِّرِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، الَّذِي دَعَانَا مُوسَى إِلَى عِبَادَتِهِ.
رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ، الَّذِي أَيَّدَهُمَا بِهَذِهِ الْمُعْجَزَةِ الْعَظِيمَةِ،
الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمَا.

قال فرعونُ للسَّحرةِ الذينَ آمَنُوا: أَصَدَقْتُمْ بَأَنِّ ما جاء به موسى حقٌّ وانفَذْتُمْ له قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ بِذلِكَ؟! إِنَّ موسى لَرئيسُكُمْ الَّذي عَلَّمَكُمْ صِناعَةَ السِّحْرِ، ولذلكِ آمَنْتُمْ به، وتَوَاطَأْتُمْ على ما فَعَلْتُمْ! فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ما أَفَعَلُهُ بِكُمْ مِنَ العِقَابِ، لَأَقْطَعَنَّ مِنْ كُلِّ ساحِرٍ مِنْكُمْ يَدَهُ وَرِجْلَهُ مِنْ جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، وَلَأَصْلِبَنَّكُمْ جَمِيعًا على جُذُوعِ النَّخْلِ.

قال السَّحرةُ المؤمنونَ لفرعونَ: لا ضَرَرَ عَلَيْنَا فيما يُصِيبُنَا مِنْ عَذَابِكَ المَنْقُطِ، ولا نُبالي به؛ لَأَنَّا إلى اللَّهِ راجِعونَ، فيُجازينا أَحْسَنَ الجَزَاءِ على إيماننا، وصَبَرنا على عَذَابِكَ. إِنَّا نرجو أن يَسْتُرَ رَبُّنا ذُنُوبَنا، ويتجاوزَ عن مُؤاخَذَتِنا بها؛ بسببِ كَوْنِنا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِموسى عِنْدَ ظُهورِ آيَتِهِ. وأَوْحَيْنَا إلى موسى أنْ سِرْ بِعبادي بني إسرائيلَ ليلًا، وسِيِّئِ عَمَلَكُمْ فرعونُ وَجُنُودُهُ؛ لِيَحُولُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الخُرُوجِ مِنْ أَرْضِ مِصرَ.

فأرسلَ فرعونُ مَنْ يَجْمَعُ له مِنْ مَدَنٍ كَثِيرَةٍ جُنُودًا؛ لِيَلْحَقُوا بني إسرائيلَ فَيَبْزُؤُوهم.

قال فرعونُ: إِنَّ بني إسرائيلَ لَطَائِفَةٌ ضَعِيفَةٌ وَقَلِيلَةٌ. وَإِنَّ بني إسرائيلَ مُغْضِبُونَ لَنَا أَشَدَّ الغَضَبِ. وَإِنَّا كُلُّنا مُسْتَعِدُّونَ بالقُوَّةِ والسِّلاحِ لِحَرْبِ بني إسرائيلَ، وقد أَخَذْنَا جُذُرَنا مِنْهُم.

فأَخْرَجَ اللَّهُ فرعونَ وَقَوْمَهُ مِنْ بساتينَ كَثِيرَةٍ الأشجارِ والزُّروعِ، وَغَيَّوْنَ المَاءَ. وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَمْوالِهِمْ وَمساكنِهِم الحَسَنَةِ الَّتِي كانوا يَتَنَعَّمُونَ فيها.

كذلك وأورث الله بني إسرائيل الجبّاتِ والعيونَ والكنوزَ
والمساكنَ التي كانت لفرعونَ وقومه.

فلحق فرعونُ وجنوده بني إسرائيلَ وقتَ شروقِ الشمسِ.
فلما رأى كلُّ من جمع موسى وجمع فرعونَ الآخرَ، قال
أصحابُ موسى: سيُدرِكنا فرعونُ وجنوده، ولا نستطيعُ الفرارَ؛
فالبَحْرُ أمامنا، وهم خلفنا.

قال موسى مطمئنًا قومه: ليس الأمرُ كما ذكرتم من أننا
مدركون؛ لأنَّ ربِّي معي بنصره وتأييده، وسيهديني لطريق
النَّجاةِ.

فأوحى الله إلى موسى، فقال له: اضربْ بعصاك البحرَ الَّذي
أمامك، فضرَبَ موسى بعصاه البحرَ، فانشَقَّ، فكانت كلُّ قطعةٍ
من الماءِ كالجبَلِ الكبيرِ!

وقرَّبنا فرعونَ وجنوده من البحرِ، وأدخلناهم في ذلك
الطَّرِيقِ المنشَقِّ لِنُغرِقَهم.

وأنجينا من الغرقِ موسى والَّذين معه كُلَّهم، وسلَّمناهم من
عدُوِّهم.

ثمَّ أغرقنا فرعونَ وقومه كُلَّهم في البحرِ، فلم يُفلِتْ منهم أحدٌ.
إنَّ في قصَّةِ موسى وفرعونَ لَعِظَةً وَعِبْرَةً عَظِيمَةً، ودلالةً
واضحةً للنَّاسِ على صِدْقِ الرِّسُولِ، وحِكمةِ الله وتوحيده،
وقُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ على إهلاكِ الكافرينَ وإنجاءِ المؤمنينَ، ولم
يكنْ أَكْثَرُ قَوْمَ فرعونَ مؤمنينَ بالله، فلم يُؤْمِنْ منهم إِلَّا قَلِيلَةٌ قَلِيلَةٌ.
وإنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- لهُوَ العَزيزُ القاهرُ الغالبُ المُنقِّمُ من
أعدائِهِ، الرَّحيمُ بعبادِهِ.

واقْرَأْ -يا مُحَمَّدُ- على قَوْمِكَ خَبَرَ إِبْرَاهِيمَ العَظِيمِ.

حِينَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ: أَيُّ شَيْءٍ تَعْبُدُونَ،
وَتُواظِبُونَ عَلَى عِبَادَتِهِ؟

قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِإِبْرَاهِيمَ: نَعْبُدُ أَصْنَامًا، فَنُفْقِئُ عَلَى عِبَادَتِهَا
وَقَتًا طَوِيلًا.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: هَلْ تَسْمَعُ أَصْنَامُكُمْ دُعَاءَكُمْ حِينَ
تَدْعُونَهَا؟

أَوْ هَلْ تَنْفَعُكُمْ أَوْ تُوقِعُ الضَّرَرَ عَلَيْكُمْ أَوْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ؟!
قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ: لَا تَسْمَعُنَا الْأَصْنَامُ، وَلَا تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّنَا،
وَلَكِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَعْبُدُونَهَا وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا، فَحَنُ نَقْتَدِي بِهِمْ!
قَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَفَرَأَيْتُمْ -أَيُّهَا الْقَوْمُ- هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَهَا.

تَعْبُدُونَهَا أَنْتُمْ وَأَجْدَادُكُمْ الْمَاضُونَ الْأَوَّلُونَ.
فَأَيُّهَا كُلُّهَا عَدُوٌّ لِي لَا أَعْبُدُهَا، وَأَتَبَرَّأُ مِنْهَا، إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ؛
فَإِنِّي أَعْبُدُهُ وَحْدَهُ.

الَّذِي أَوْجَدَنِي وَحْدَهُ مِنَ الْعَدَمِ، وَيُرْسِدُنِي لِمَصَالِحِي فِي دِينِي
وَدُنْيَايَ.

وَالَّذِي يُغَذِّيَنِي وَحْدَهُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.
وَإِذَا سَقَمَ بَدَنِي وَاعْتَلَّتْ صِحَّتِي فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُعَافِيَنِي.
وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَقْبِضُ رُوحِي عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِي، ثُمَّ يَبْعَثُنِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَنِي.

وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي أَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
رَبِّ أَعْطِنِي فَهْمًا، وَعِلْمًا كَثِيرًا، وَاجْعَلْنِي مَعَ الصَّالِحِينَ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَجْعَلْ لِي ثَنَاءً حَسَنًا دَائِمًا، فَأَذْكُرَ مِنْ بَعْدِي، وَيَقْتَدِيَ النَّاسُ بِي.

وَأَجْعَلْنِي مِمَّنْ ثُورَتْهُمْ الْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ.
وَاعْفِرْ لِأَبِي؛ لِأَنَّهُ مِنَ الضَّالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَلَا تُعَاقِبْهُ.
وَلَا تَفْضَحْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ.
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ فِيهِ مَالُهُ وَلَا أَبْنَاؤُهُ.
إِلَّا مَنْ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَلْبُهُ خَالِصٌ مِنَ الشَّرِكِ وَالشَّكِّ،
وَالْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ، وَالْأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ، وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ.
وَقُرَّبَتِ الْجَنَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عَذَابَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا؛
بِفِعْلٍ أَوْ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

وَأُظْهِرَتِ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّذِينَ ضَلُّوا فِي الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ.
وَقِيلَ لِلْغَاوِينَ تَوْبِيخًا لَهُمْ: أَيْنَ مَعْبُودَاتِكُمُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا
فِي الدُّنْيَا.

كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَنْفَعُكُمْ وَتَشْفَعُ
لَكُمْ، هَلْ تُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، أَوْ تُنْقِذُ أَنْفُسَهَا مِنْهُ؟!
فَطُرِحَ فِي جَهَنَّمَ الْمَعْبُودُونَ وَعَابِدُوهُمْ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ.

وَطُرِحَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعُ مَنْ كَانُوا أَعْوَانًا وَأَتْبَاعًا لِإِبْلِيسَ فِي
الدُّنْيَا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.
قَالَ أَهْلُ النَّارِ لِمَعْبُودَاتِهِمْ وَهُمْ فِي النَّارِ يَتَخَاصِمُونَ، وَيجَادِلُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَاللَّهُ إِنَّمَا كُنَّا فِي الدُّنْيَا فِي ذَهَابٍ وَاضِحٍ عَنِ الْحَقِّ.
حِينَ سَوَّيْنَاكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَعَبَدْنَاكُمْ وَأَطَعْنَاكُمْ كَمَا يُعْبُدُ اللَّهُ
وَيُطَاعُ.

وما صرَفْنَا وأَعْوَانَا عَنِ الْحَقِّ إِلَّا الضَّالُّونَ.
فَمَا لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ يَشْفَعُونَ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ؛ لِيَعْفُو عَنَّا، وَيُخْرِجَنَا
مِنَ النَّارِ!

ولا صديق، مُشْفِقٍ، صَادِقٍ فِي وَدِّهِ.
فَلَوْ أَنَّ لَنَا رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا فَنُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَنَعْمَلَ بِطَاعَتِهِ، فَنَسَلَّمَ
مِنْ عِقَابِ الآخِرَةِ، وَنَسْتَحِقَّ ثَوَابَهَا!
إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ لَعِظَةً وَعِبْرَةً
وَذِلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَبُطْلَانِ الشِّرْكِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَعْذِّبُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ،
مَعَ وُضُوحِ الْمُعْجَزَاتِ، وَنُزُولِ الْآيَاتِ.
وَإِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ، الْمُنْتَقِمُ مِنْ
أَعْدَائِهِ، الرَّحِيمُ بَعْبَادِهِ.

كَذَّبْتَ قَوْمٌ نُوحٍ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ.
حِينَ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ -وَهُوَ أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ-: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ
وَتَحْذَرُونَ عِقَابَهُ، فَتُوحِدُوا اللَّهَ، وَتَتْرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ؟!
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، أَمِينٌ عَلَى وَحْيِهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ،
فَأُبَلِّغُكُمْ رَسُولَةَ اللَّهِ بِلا زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ.
فَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمُرُكُمْ بِهِ، وَأَنْهَاكُمْ
عَنْهُ.

وما أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى نُصْحِي لَكُمْ أَيَّ ثَوَابٍ وَجَزَاءٍ، مَا أَرْجُو
ثَوَابِي إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ، الْمَالِكِ الْمَدَبِّرِ لَجَمِيعِ الْعَالَمِينَ.
فَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ
عَنْهُ؛ فَقَدْ بَانَ لَكُمْ صِدْقِي.

قال قَوْمُ نُوحٍ: أَنْوْمُنْ لَكَ -يا نوحُ- وَنَنْتَبِعْكَ، والحالُ أَنَّهُ قَدْ اتَّبَعَكَ الضُّعَفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَأَسَافِلُ النَّاسِ دُونَ ذَوِي الشَّرَفِ، فكيف ننتساوي معهم في اتِّباعِكَ؟!

قال نُوحٌ لِقَوْمِهِ: وما عَلِمِي بما كان يَعْمَلُ اتِّباعِي؟ فأنا لم أَكَلِّفِ الْعِلْمَ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَأَقْبَلَ مِنْهُمْ إِقْرَارَهُمْ وَتَصَدِيقَهُمْ وَانْقِيَادَهُمْ.

ما حِسَابُ اتِّباعِي إِلَّا عَلَى رَبِّي؛ فَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ، وَلَيْسَ عَلَيَّ مَعْرِفَةُ أَعْمَالِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ التَّبْلِيغُ، وَلَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِسَابَهُمْ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَشْعُرُونَ بِالْأَمْرِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَمَا عِثُّوهُمْ، وَلَمْ تَسْأَلُونِي عَنْهُمْ.

وَلَنْ أَطْرُدَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاتَّبَعَنِي. ما بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَّا نَذِيرًا أَوْضَحَ إِذْأَرَهُ لَكُمْ جَمِيعًا؛ غَنِيكُمْ وَفَقِيرَكُمْ، شَرِيفَكُمْ وَوَضِيعَكُمْ.

قال الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ: لَئِنْ لَمْ تَنْتَرِكْ -يا نوحُ- دَعْوَتَكَ لَنَا، لَنَرُجُمَنَّكَ.

قال نُوحٌ: رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِي فِيمَا جِئْتُهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَلَا نِيَّةَ لَهُمْ فِي اتِّبَاعِهِ!

فاحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي حُكْمًا مِنْ عِنْدِكَ، تَسْتَأْصِلُ وَتُهْلِكُ بِهِ الْمُبْطِلَ، وَنَجِّنِي وَاتِّباعِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَذَابِكَ الَّذِي تُنْزِلُهُ عَلَى الْمُبْطِلِينَ.

فَأَنْجَيْنَا نُوحًا وَمَنْ حُمِلَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ الْمَمْلُوءَةِ بِالنَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ وَغَيْرِهَا.

ثُمَّ أَغْرَقْنَا جَمِيعَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ بَقُوا، فَلَمْ يَرْكَبُوا السَّفِينَةَ.

إِنَّ فِي إِنْجَاءِ نُوحٍ وَاتِّبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِهْلَاكِ الْمَكْذِبِينَ بِهِ،
لِعِظَةٍ وَعِبْرَةٍ وَدَلَالَةٍ وَاضِحَةٍ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ،
وَبُطْلَانِ الشِّرْكِ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ قَوْمِ نُوحٍ مُؤْمِنِينَ.
وَإِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدٌ- لَهو الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ الْمُنْتَقِمُ مِنْ
أَعْدَائِهِ، الرَّحِيمُ بَعْبَادِهِ.

كَذَّبَتْ قَبِيلَةُ عَادٍ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ.
كَذَّبُوا هُودًا -وهو أخوهم في النَّسَبِ- حِينَ قَالَ لَهُمْ: أَلَا تَتَّقُونَ
اللَّهَ، وَتَحْذَرُونَ عِقَابَهُ، فَتُوحِدُوهُ، وَتَتْرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ؟
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، أَمِينٌ عَلَى وَحْيِهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ،
فَأَبْلِغُكُمْ رِسَالَتَهُ بِلا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ.
فَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمُرُكُمْ بِهِ، وَأَنْهَاكُمْ
عَنْهُ.

وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى نُصْحِي لَكُمْ أَيَّ ثَوَابٍ وَجَزَاءٍ، مَا أَرْجُو
ثَوَابِي إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ، الْمَالِكِ الْمَدِيرِ لَجَمِيعِ الْعَالَمِينَ
دُونَ غَيْرِهِ.

قَالَ هُودٌ لِقَوْمِهِ: أَتَبْنُونَ بِكُلِّ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ بِنَاءً عَالِيًا مُرْتَفَعًا؛
دَلَالَةً عَلَى قُوَّتِكُمْ وَشِدَّتِكُمْ، وَتَتَّخِذُونَ ذَلِكَ فَخْرًا وَإِظْهَارًا لِلْقُدْرَةِ
وَالْعِظْمَةِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَنَفْعٍ حَقِيقِيٍّ يَعُودُ عَلَيْكُمْ؟!
وَتَصْنَعُونَ بِنَايَاتٍ مُحْكَمَةً، كَأَنَّكُمْ تَخْلُدُونَ فِي الدُّنْيَا!
وَإِذَا أَخَذْتُمُ النَّاسَ وَقَهَرْتُمُوهُمْ، فَإِنَّكُمْ تُفْرِطُونَ فِي أَدْبَتِهِمْ
عُدْوَانًا وَظُلْمًا، كَأَن يَقْتُلُوهُمْ، أَوْ يَضْرِبُوهُمْ بِفَسْوَةٍ بَغِيرِ حَقٍّ.
فَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ
عَنْهُ؛ فَقَدْ بَانَ لَكُمْ صِدْقِي.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَعْطَاكُمْ مَا تَعْلَمُونَ مِنَ النَّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ
الْمُتَتَابِعَةِ.

أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْمَوَاشِي، وَالْأَنْبَاءِ الذُّكُورِ.
وَأَعْطَاكُمْ مَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْبَسَاتِينِ، وَغَيُورِ الْمَاءِ.
إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ الْأَهْوَالِ، إِنْ
أَصْرَرْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

قَالَ قَوْمٌ هُوَ لِنَبِيِّهِمْ: يَسْتَوِي عِنْدَنَا وَعِظُّكَ لَنَا وَتَرْكُكَ لَهُ، فَلَنْ
نُؤْمِنَ بِكَ، وَلَنْ نَتْرَكَ دِينَنَا.

مَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا عَادَةُ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ، وَنَحْنُ تَابِعُونَ
لَهُمْ، وَمُقْتَدُونَ بِهِمْ.

وَلَنْ يُعَذِّبَنَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَنْ يَبْعَثَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا لِيُعَذِّبَنَا فِي
الْآخِرَةِ.

فَكَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِ عَادٍ رَسُولَهُمْ هُودًا، فَأَهْلَكْنَاهُمْ فِي
الدُّنْيَا، إِنْ فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ هُودٍ لَعِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى
صِدْقِ رَسُولِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ قَوْمِ هُودٍ مُؤْمِنِينَ حَقًّا، مَعَ وَجُودِ
الْآيَاتِ الْمُقْتَضِيَةِ لِإِيمَانِهِمْ.

وَإِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ، الْمُنْتَقِمُ مِنْ
أَعْدَائِهِ، الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ.

كَذَّبَتْ قَبِيلَةُ ثَمُودَ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ.
حِينَ قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ -وَهُوَ أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ، فَهُمْ يَعْرِفُونَ
صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَشَفَقَتَهُ عَلَيْهِمْ-: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ، وَتَحْذَرُونَ عِقَابَهُ؟
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، أَمِينٌ عَلَى وَحْيِهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ،
فَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ بِلا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ.

فَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى نُصْحِي لَكُمْ أَيَّ ثَوَابٍ وَجَزَاءٍ، مَا أَرْجُو ثَوَابِي إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ، الْمَالِكِ الْمَدِيرِ لَجَمِيعِ الْعَالَمِينَ دُونَ خَلْقِهِ.

أَتُظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ يَتْرُكُكُمْ تَتَنَعَّمُونَ فِي هَذِهِ الْخَيْرَاتِ آمَنِينَ مِنَ الْمَوْتِ وَالْعَذَابِ؟!

فِي بَسَاتِينٍ وَغُيُونٍ مَاءٍ.

وَفِي زُرُوعٍ وَخَلٍ ثَمَرُهَا لَيِّنٌ رَطْبٌ.

وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا لَكُمْ حَافِقِينَ بَنَحْتِهَا.

فَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ

عَنْهُ؛ فَقَدْ بَانَ لَكُمْ صِدْقِي.

وَلَا تَنْقَادُوا لِأَمْرِ الْمُسْرِفِينَ، الَّذِينَ تَمَادَوْا وَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي

الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ.

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْمَعَاصِي

وَالدَّعْوَةَ إِلَى ذَلِكَ، وَلَا يُصْلِحُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا

يَأْمُرُونَ غَيْرَهُمْ بِالصَّلَاحِ.

قَالَ قَوْمٌ صَالِحٌ: إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ الَّذِينَ بُولِغَ فِي

سِحْرِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَلَا عَقْلَ لَكَ، وَإِنَّمَا تَهْذِي بِمَا لَا مَعْنَى لَهُ.

مَا أَنْتَ إِلَّا أَدْمِيٌّ مِثْلُنَا، فَكَيْفَ خَصَّكَ اللَّهُ بِالرَّسَالَةِ مِنْ بَيْنِنَا

حَتَّى نَنْبِئَكَ؟! فَأَتِ بِحُجَّةٍ تَدُلُّ بِوُضُوحٍ عَلَى صِحَّةِ مَا تَقُولُ إِنْ

كَنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْنَا حَقًّا.

قال صالح لِقَوْمِهِ: هذه ناقةٌ جعلها الله لكم آيةً تدُلُّ على صدقي، لها حظٌّ ونصيبٌ من الماءِ في يومٍ لا تُشاركونها فيه، ولكم حظٌّ ونصيبٌ من الماءِ في يومٍ لا تُشارككم فيه. ولا تَمْسُوا الناقةَ بأيِّ أذىٍ كائناً ما كان؛ فإنكم إن فعلتم يُصيبُكم من الله عذابٌ يومٍ عظيمٍ الأهوالِ. فقتلَ قومُ صالحِ الناقةَ، فأصبحوا نادِمينَ على ذلك حينَ أيقنوا بالعذابِ.

فأهلكهم الله بالعذابِ الَّذي توعدَهم به نبيُّهم، إنَّ في إهلاكِ قومِ صالحٍ لَعظةً، وعبرةً، ودلالةً على صدقِ نبيِّهم، ولم يكنْ أكثرُ قومٍ صالحٍ مُؤمِنينَ. وإنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- لهو العزيزُ القاهرُ الغالبُ، المنتقمُ من أعدائه، الرَّحيمُ بعباده.

كدَّبت جماعةٌ قومٍ لوطٍ بِجميعِ رُسُلِ الله. حينَ قال لهم أخوهم لوطٌ: أَلَا تَتَّقُونَ اللهَ، وتَحذَرُونَ عِقَابَهُ؟ إني لكم رَسُولٌ من الله، أمينٌ على وَحْيِهِ الَّذي بعثني به إليكم، فأبلغُكم ما أُرسلتُ به إليكم بلا زيادةٍ ولا نقصٍ. فاتَّقُوا سَخَطَ اللهِ وعِقَابَهُ، وأطيعوني فيما أُمركم به، وأنهاكم عنه.

وما أطلبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجزاءٍ، ما أرجو ثوابي إلا من الله الخالقِ الرَّازِقِ، المالكِ المدبِّرِ لجميعِ العالمينَ دونَ خلقه.

أَتُنكِحُونَ الذُّكُورَ مِنَ النَّاسِ؟! لم يَسِفْكم إلى ابتداعِ هذه الفاحشةِ أحدًا!

وَتَتْرَكُونَ مَا خَلَقَهُ لَكُمْ رُبُّكُمْ مِنْ نَسَائِكُمْ، وَقَدْ أَحَلَّ لَكُمْ
الِاسْتِمْتَاعَ بِهِنَّ! بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ،
وَتَتَجَاوَزُونَ مَا أَحَلَّه لَكُمْ رُبُّكُمْ إِلَى مَا حَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ.
قَالَ قَوْمٌ لوطٍ: لَئِنْ لَمْ تَنْتَرِكْ -يا لوط- نَهَيْكَ وَإِنْكَارَكَ عَلَيْنَا
إِتْيَانَ الذُّكُورِ، لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَطْرُودِينَ مِنْ قَرْيَتِنَا.
قَالَ لوطٌ لِقَوْمِهِ: إِنِّي لِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْفَاحِشَةِ مِنَ الْمُبْغِضِينَ
لَهُ أَشَدُّ الْبُغْضِ، التَّارِكِينَ فِعْلَهُ، الْمُنْكَرِينَ لَهُ.
قَالَ لوطٌ دَاعِيًا رَبَّهُ: رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِنْ عَذَابِ قَوْمِي حِينَ
تُنْزِلُهُ عَلَيْهِمْ.
فَنَجَّيْنَا مِنَ الْعَذَابِ لوطًا وَأَهْلَهُ كُلَّهُمْ.
إِلَّا زَوْجَتَهُ الْعَجُوزَ فَلَمْ نُنْجِهَا، وَهَلَكَتْ مَعَ قَوْمِهَا الْبَاقِينَ فِي
الْعَذَابِ.

ثُمَّ أَهْلَكْنَا قَوْمَ لوطٍ.
وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، فَبُئِسَ الْمَطَرُ الَّذِي
أَمْطَرْنَاهُ عَلَى قَوْمِ لوطٍ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ عَذَابَ اللَّهِ فَكَذَّبُوهُ.
إِنَّ فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ لوطٍ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِمْ لوطٍ،
وَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِمُرْتَكِبِ الْفَوَاحِشِ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ قَوْمِ لوطٍ
مُؤْمِنِينَ.
وَإِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- لَهو الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ الْمُنْتَقِمُ مِنْ
أَعْدَائِهِ، الرَّحِيمُ بَعْبَادِهِ.

كَذَّبَ أَصْحَابُ الشَّجَرِ الْمُتَلَفِّ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ.
حِينَ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ، وَتَحْذَرُونَ عِقَابَهُ؟
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، أَمِينٌ عَلَى وَحْيِهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ،
فَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ بَلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ.

فَاتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمُرُكُمْ بِهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى نُصْحِي لَكُمْ أَيَّ ثَوَابٍ وَجَزَاءٍ، مَا أَرْجُو ثَوَابِي إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ، الْمَالِكِ الْمَدْبِرِ لَجَمِيعِ الْعَالَمِينَ دُونَ خَلْقِهِ.

قَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: أَتِمُّوا لِلنَّاسِ حَقَّهُمْ كَامِلًا عِنْدَ الْكَيْلِ، وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ يَنْقُصُ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ.

وَزِنُوا لِلنَّاسِ -إِذَا وَزَنْتُمْ لَهُمْ- بِالْمِيزَانِ الْعَادِلِ، الَّذِي لَا مِيلَ وَلَا انْحِرَافَ فِيهِ.

وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِهِمْ، وَلَا تَسْعَوْا فِي الْأَرْضِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَتُكْثِرُوا فِيهَا الْفُسَادَ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ الْأَوَّلِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ لَهُ: إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ الَّذِينَ بُولَغَ فِي سِحْرِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَلَا عَقْلَ لَكَ، وَإِنَّمَا تَهْذِي بِمَا لَا مَعْنَى لَهُ. وَمَا أَنْتَ إِلَّا أَدْمِيٌّ مِثْلُنَا، فَكَيْفَ خَصَّكَ اللَّهُ بِالرَّسَالَةِ مِنْ بَيْنِنَا حَتَّى نَتَّبِعَكَ؟! وَنَحْنُ نَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فِي رَعْمِكَ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ.

فَأَنْزَلَ عَلَيْنَا قِطْعًا مِنَ السَّمَاءِ تُهْلِكُنَا، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ.

قَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، وَتَقْصُ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَمُعَذِّبُكُمْ بِهَا إِنْ شَاءَ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا تَبْلِيغُكُمْ.

فكَذَّبَ قَوْمُ شُعَيْبٍ نَبِيَّهِمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ أَظْلَمَ لَهُمْ، فَهَلَكُوا مِنْ تَحْتِهِ، إِنَّ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ الَّذِي أَصَابَ قَوْمَ شُعَيْبٍ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ الْأَهْوَالِ.

إِنَّ فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ شُعَيْبٍ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِمْ شُعَيْبٍ، وَعِبْرَةً وَعِظَةً لِمَنْ يَنْقُصُ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ قَوْمِ شُعَيْبٍ مُؤْمِنِينَ.

وَإِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ، الْمُنتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ.

وَإِنَّ الْقُرْآنَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ الَّذِي رَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهَدَاهُمْ لِمَصَالِحِهِمْ بِرَحْمَتِهِ.

نَزَلَ بِالْقُرْآنِ جَبْرِيلُ الْمُؤْتَمِنُ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ؛ فَهُوَ لَا يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْئًا.

نَزَلَ جَبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ عَلَى قَلْبِكَ -يَا مُحَمَّدُ- لِتَعِيَهُ وَتَحْفَظَهُ، فَتَكُونَ مِمَّنْ يُنْذِرُ النَّاسَ بِهِ.

بَلُغَةَ عَرَبِيَّةٍ وَاضِحَةٍ الْمَعَانِي.

وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَذْكُورُ خَبْرِهِ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقَةِ الْمُبَشِّرَةِ بِهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهِ.

أَوَلَمْ يَكُنْ لِلْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ دَلَالَةً عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْوَحْيِ؛ أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْلَمُونَ صِدْقَ ذَلِكَ، وَيَجِدُونَ ذِكْرَهُ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي يَدْرُسُونَهَا؟!

وَلَوْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعَاجِمِ لَا يُحْسِنُ التَّحَدُّثَ بِالْعَرَبِيَّةِ.

فَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى كُفَّارِ الْعَرَبِ بِغَيْرِ لُغَةِ الْعَرَبِ، لَمَّا آمَنُوا بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَالُوا: لَا نَفْقَهُ قَوْلَكَ!

كَذَلِكَ أَدْخَلْنَا الْقُرْآنَ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ فَكَذَّبُوا بِهِ!
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ حَتَّى يَرَوْا عَذَابَ اللَّهِ فَيُؤْمِنُوا بِهِ حِينَ لَا
يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ.

فَيَأْتِي الْمَكْذِبِينَ بِالْقُرْآنِ عَذَابُ اللَّهِ فَجَاءَ بِلَا مُقَدِّمَاتٍ، وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهِ.

فَيَقُولُ الْمُجْرِمُونَ حِينَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَجَاءَ: هَلْ نَحْنُ
مُؤَخَّرُونَ وَمُْمَهَّلُونَ لِنَتُوبَ إِلَى اللَّهِ، فَنُؤْمِنَ وَنَعْمَلَ صَالِحًا؟!
أَيَسْتَعْجِلُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ بِعَذَابِنَا الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَهَانَ
بِهِ؟!

هَبْ أَنْ الْأَمْرَ كَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ طُولِ عَيْشِهِمْ، فَأَخْبِرْنِي إِنْ
أَمَهَّلْنَاهُمْ وَأَبْقَيْنَاهُمْ يَتَمَتَّعُونَ فِي الدُّنْيَا سِنِينَ كَثِيرَةً.
ثُمَّ جَاءَهُمْ بَعْدَ تِلْكَ السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَانُوا
يُوعَدُونَ بِهِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ.
فَمَاذَا يَنْفَعُهُمْ حِينَهَا تَمَتُّعُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَأْخِيرُنَا عَذَابَهُمْ سِنِينَ
كَثِيرَةً؟!

وَمَا أَهْلَكْنَا قَرْيَةً مِنَ الْقُرَى الْمَاضِيَةِ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَى
أَهْلِهَا بِرِسَالٍ رُسُلٍ يُنْذِرُونَهُمْ سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى
كُفْرِهِمْ.

بَعَثْنَا الرُّسُلَ الْمُنْذِرِينَ تَذْكَرَةً لَأَهْلِ الْقُرَى، وَتَنْبِيْهًا لَهُمْ قَبْلَ
إِهْلَاكِهِمْ، وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ لَهُمْ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْذَارِهِمْ،
وَالْإِعْذَارَ إِلَيْهِمْ.

وَمَا نَزَلَتْ الشَّيَاطِينُ بِالْقُرْآنِ عَلَى مُحَمَّدٍ، بَلْ نَزَلَ بِهِ عَلَيْهِ
جَبْرِيلُ الْأَمِينُ.

وَلَا يَنْبَغِي وَلَا يَصِحُّ لِلشَّيَاطِينِ أَنْ يَنْزِلُوا بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنَاسِبُهُمْ؛ لِمُخَالَفَتِهِ أَحْوَالَهُمْ وَمَقَاصِدَهُمْ، وَحَتَّىٰ لَوْ أَرَادُوا أَنْزَالَهُ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ.

لَأَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ فِي السَّمَاءِ.
فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا آخَرَ تَعْبُدُهُ وَتَسْأَلُهُ، فَتَكُونَ مُعَذِّبًا مِنَ الْمُعَذِّبِينَ.

وَحَذَّرَ قَوْمَكَ الْأَقْرَبِينَ إِلَيْكَ نَسَبًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَقَدَّمَ إِنْذَارَهُمْ عَلَىٰ إِنْذَارِ غَيْرِهِمْ، وَلَا تُحَابِهِمْ لِقُرْبِهِمْ.
وَأَلَّنَ جَانِبَكَ لِاتِّبَاعِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَوَاضَعَ لَهُمْ، وَارْفُقَ بِهِمْ، وَتَوَدَّدَ إِلَيْهِمْ.

فَإِنْ خَالَفَ أَمْرَكَ قَوْمُكَ الْأَقْرَبُونَ وَلَمْ يَتَّبِعُوكَ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ مِنْ شِرْكِكُمْ وَعِصْيَانِكُمْ.

وَاعْتَمَدَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ عَلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ فِي نِقْمَتِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَلَا يُقَهَّرُ وَلَا يُغَالَبُ؛ الرَّحِيمُ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ، وَفَوَّضَ أُمُورَكَ إِلَيْهِ؛ لِيَحْفَظَكَ وَيَنْصُرَكَ.
تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ إِلَى صَلَاتِكَ.

وَيَرَاكَ وَأَنْتَ مَعَ الْمُصَلِّينَ تَتَقَلَّبُ فِي الصَّلَاةِ قَائِمًا وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا.

إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ لَجَمِيعِ الْأَصْوَاتِ، الْعَلِيمُ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ وَالنِّيَّاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ سَمَاعُهُ لَتِلَاوَةِ مُحَمَّدٍ، وَذِكْرُهُ فِي صَلَاتِهِ، الْعَلِيمُ بِمَا يَعْمَلُ فِيهَا وَبِمَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ.

هَلْ أَخْبَرَكُمْ بِصِفَةِ الَّذِينَ تَنْتَزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ؟
تَنْتَزِلُ بكَثْرَةٍ عَلَى كُلِّ كَثِيرٍ الْكَذِبِ فِي أَقْوَالِهِ، كَثِيرِ الْآثَامِ فِي أَفْعَالِهِ.

يَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ بَعْضَ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ، فَيُلْقُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْكَهَنَةِ الْأَقَاكِينِ الْإِثْمِينَ قَبْلَ أَنْ يُرْجَمُوا بِالشُّهْبِ، وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ. وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمْ غَوَاةُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الضَّالُّونَ الْمُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ شِعْرًا، وَلَا مُحَمَّدٌ بِشَاعِرٍ. وَاتَّبَاعُهُ هُمُ الْمُهْتَدُونَ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشُّعْرَاءَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ فِي كُلِّ لَغْوٍ وَوَجْهِ مِنْ أَوْجِهِ الْقَوْلِ؛ كَالْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ، وَالرِّثَاءِ وَالْفَخْرِ وَالْعَزْلِ، يَمْضُونَ فِيهِ خَائِضِينَ حَائِرِينَ، لَا يَتَّبِعُونَ عَلَى حَالٍ؟! وَأَنَّ الشُّعْرَاءَ يَقُولُونَ الْكَذِبَ، فَيَتَكَلَّمُونَ بِمَا لَا يَفْعَلُونَهُ فِي الْوَاقِعِ.

إِلَّا الشُّعْرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَذَكَرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَهَجَّوْا شُعْرَاءَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ هَجَّوْهُمْ ظُلْمًا، فَرَدُّوا عَلَيْهِم بِالْحَقِّ؛ انْتِصَارًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَهَؤُلَاءِ الْمُسْتَنْتُونَ لَيْسُوا مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَذْمُومِينَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى حُقُوقِ الْعِبَادِ؛ الْمَالِ السَّيِّئِ الَّذِي سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ؛ فَإِنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ. {طس} هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمَقْطَعَةُ الَّتِي افْتَتَحَتْ بِهَا هَذِهِ السُّورَةُ وَغَيْرُهَا، تَأْتِي لِبَيَانِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تَظْهَرُ عَجَزُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا. تِلْكَ الْآيَاتُ الْعَظِيمَةُ: آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ وَاضِحٍ صِدْقِهِ، وَأَنَّهُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، وَمُظْهِرُ الْحَقِّ بَيَانِهِ. هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ يَهْدِيهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ بَشَارَةٌ لَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالثَّوَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

إِنَّ الْقُرْآنَ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى آدَاءِ الصَّلَوَاتِ بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَحُدُودِهَا، وَيُعْطُونَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ مُسْتَحَقِّهَا، وَهُمْ يُؤْمِنُونَ إِيْمَانًا يَقِينِيًّا بِالذَّارِ الْآخِرَةِ.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالذَّارِ الْآخِرَةِ، وَوُقُوعِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: حَسَنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ الْقَبِيحَةُ، وَحَبَبْنَاهَا إِلَيْهِمْ، وَسَهَّلْنَا عَلَيْهِمْ فَعْلَهَا؛ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَهُمْ فِي ضَلَالٍ لَهُمْ وَأَعْمَالُهُمُ الْخَبِيثَةُ الْقَبِيحَةُ يَتَرَدَّدُونَ حَائِرِينَ، لَا يَهْتَدُونَ لِلْحَقِّ.

أُولَئِكَ لَهُمْ أَشَدُّ الْعَذَابِ وَأَسْوَأُ وَأَعْظَمُهُ، وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ النَّاسِ خَسَارَةً؛ لِقَوَاتِ الْمَثُوبَةِ، وَاسْتِحْقَاقِ الْعُقُوبَةِ.

وَإِنَّكَ لَتَلْتَلِي الْقُرْآنَ -يَا مُحَمَّدٌ- فَتَأْخُذُهُ وَتَتْلُقُهُ وَتَعْلَمُهُ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَهُ كَمَالُ الْحِكْمَةِ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ، وَمَنْ لَهُ كَمَالُ الْعِلْمِ، وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ عِلْمٌ أَنَّهُ كُلُّهُ حِكْمَةٌ وَعِلْمٌ، وَصَلَاحٌ لِلْعِبَادِ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ.

اذْكُرْ -يَا مُحَمَّدٌ- حِينَ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ -وَهُوَ مُسَافِرٌ مِنْ مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ بَارِدَةٍ: إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا، سَأَتِيكُمْ مِنَ النَّارِ بِخَبَرٍ، أَوْ أَجْبِيكُمْ بِشُعْلَةٍ أَقْتَبِسُهَا مِنْ تِلْكَ النَّارِ؛ كَيْ تَسْتَدْفِنُوا بِهَا مِنَ الْبَرْدِ.

فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى إِلَى النَّارِ -قِيلَ: كَانَتْ نُورًا- نَادَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ بُورِكَ مَنْ فِي تِلْكَ النَّارِ، وَبُورِكَ مَنْ حَوْلَهَا، وَتَنْزِيهَاً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَسُوءٍ وَعَيْبٍ.

يَا مُوسَى، إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَخُدْيَ، الْقَوِيُّ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُقَهَّرُ، الْحَكِيمُ فِي أَمْرِهِ وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ.

وَارْمِ عَصَاكَ، فرماها فانقلبت ثعبانًا عظيمًا، فلمَّا رآها موسى تتحرَّك وتضطربُ بخفَّةٍ وسُرعةٍ، وكأنَّها حيَّةٌ صغيرةٌ؛ هَرَبَ منها مُسرَّعًا ولم يرجع ولم يلتفتْ، فقلُّنا: يا موسى، لا تخف ممَّا ترى؛ لأنِّي لا يخافُ عندي الرُّسلُ.

لَكِنْ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بَارْتِكَابِ السُّوءِ، والوقوع في الذَّنْبِ، ثمَّ تاب وعَمِلَ صَالِحًا بَعْدَ عَمَلِهِ السَّيِّئِ؛ فَإِنِّي غَفُورٌ لِّذُنْبِهِ -أَسْأَلُهُ عَلَيْهِ، وَأَتَجَاوَزُ عَنْ مَوَازِيئِهِ بِهِ-، وَرَحِيمٌ بِهِ.

وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِ قَمِيصِكَ ثُمَّ أَخْرَجَهَا، تَخْرُجُ بَيَضاءَ اللَّوْنِ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْآفَاتِ، وَهِيَ آيَةٌ مِنْ جُمْلَةِ تِسْعِ آيَاتِ نُرْسِلُكَ بِهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا كَافِرِينَ بِاللَّهِ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

فَلَمَّا جَاءَتْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ آيَاتُنَا النَّسْعُ مُضِيئَةً ظَاهِرَةً وَاضِحَةً الدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ مُوسَى وَرِسَالَتِهِ، وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى؛ قَالُوا: هَذَا الَّذِي أَرَانَا مُوسَى سِحْرٌ وَاضِحٌ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ!

وَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ بِالْآيَاتِ، وَأَنكَرُوا بِالسَّنْتِهِمْ أَنْ تَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مَعَ تَبَيُّنِ قُلُوبِهِمْ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَيُّنًا تَامًّا لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا وَأَنكَرُوا؛ اعْتِدَاءً وَتَكَبُّرًا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَاظْطُرُّ -يَا مُحَمَّدُ- إِلَى نَهَايَةِ أَمْرِ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، كَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَدَمَّرَهُمْ.

وَلَقَدْ أَعْطَيْنَا دَاوُدَ وَابْنَهُ سُلَيْمَانَ عِلْمًا، وَقَالَ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَا اخْتَصَّنا بِهِ.

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ أَبَاهُ دَاوُدَ فِي النُّبُوَّةِ وَالْعِلْمِ وَمُلْكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَدِّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ: يَا

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَّمَنَا اللَّهُ كَلَامَ الطُّيُورِ، وَفَهَّمَنَا مَعَانِيَ أَصْوَاتِهَا، وَأَعْطَانَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ النِّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ، إِنَّ هَذَا الَّذِي أُوتِينَاهُ لَهُو الْفَضْلُ الظَّاهِرُ الْوَاضِحُ.

وَجُمِعَ لِسُلَيْمَانَ عَسَاكِرُهُ الْكَثِيرَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطُّيُورِ، فَهُمْ يُنْظَمُونَ فِي مَسِيرِهِمْ، فَيُرَدُّ أَوَّلُهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ؛ لِيَبْقُوا مُجْتَمِعِينَ مُرْتَبِينَ.

فَسَارُوا حَتَّى إِذَا مَرَّ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ بِوَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ مِنْهُمْ مُحَذِّرَةً لَهُمْ بَعْدَ أَنْ رَأَتْ الْجَيْشَ: يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا بَيْوتَكُمْ مُسْرِعِينَ مُحْتَزِّزِينَ، لَا يَكْسِرَتْكُمْ وَيَهْشِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجَيْشُهُ حِينَ يَمْرُونِ بِوَادِيكُمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ التَّحْطِيمِ وَلَا يَقْصِدُونَهُ.

فَتَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ ضَاحِكًا؛ تَعَجُّبًا وَسُرُورًا مِنْ كَلَامِ النَّمْلَةِ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ: رَبِّ اأَلْهَمْنِي وَوَفِّقْنِي إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ، بِحَيْثُ أَكُونُ مُلَازِمًا لَشُكْرِ نِعْمِكَ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ عَلَيْنَا، وَأَنْ أَعْمَلَ فِي بَقِيَّةِ عُمْرِي عَمَلًا خَالِصًا لَكَ، مُتَّبِعًا فِيهِ شَرْعَكَ، مُوَافِقًا لِمَرْضَاتِكَ، وَأَدْخِلْنِي فِي الْآخِرَةِ بَرَحْمَتِكَ - لَا بَعْمَلِي - فِي جَمَلَةِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ فِي جَنَّتِكَ.

وَتَعَاهَدَ سُلَيْمَانُ الطَّيْرَ، فَقَالَ حِينَ لَمْ يَرَ الْهُدُودَ: مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ؟ أَهوَ حَاضِرٌ فَأَخْطَأُهُ بَصْرِي، أَمْ أَنَّهُ غَابَ بِلَا إِذْنِي فَلَمْ يَحْضُرْ؟!

قَالَ سُلَيْمَانُ مَتَغَيِّطًا: وَاللَّهِ لِأَعَذَّبَنَّ الْهُدُودَ عَذَابًا شَدِيدًا؛ لَغِيَابِهِ بِلَا إِذْنٍ، أَوْ لَأَقْتُلَنَّه، أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ تَبَيِّنُ عُذْرَهُ فِي غِيَابِهِ.

فَبَقِيَ الْهَدُودُ غَائِبًا زَمَنًا يَسِيرًا، ثُمَّ جَاءَ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهُ:
عَلِمْتُ بِشَيْءٍ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ! وَأَتَيْنُكَ مِنْ بِلَادٍ سَبَاً بِالْيَمَنِ بِخَبَرٍ
حَقٍّ، وَصَدَقٍ لَا شَكَّ فِيهِ.

قَالَ الْهَدُودُ: إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُ أَهْلَ سَبَاً، وَأُعْطِيَتْ هَذِهِ
الْمَلِكَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَسَرِيرٌ مُلْكُهَا الَّذِي تَجْلِسُ عَلَيْهِ ضَخْمٌ،
عَظِيمُ الْقَدْرِ، بَدِيعٌ، حَسَنُ الْمَنْظَرِ.

وَجَدْتُ هَذِهِ الْمَلِكَةَ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ فَيَعْبُدُونَهَا مِنْ
دُونِ اللَّهِ الْمُسْتَحَقِّ وَحَدَهُ لِلْعِبَادَةِ! وَحَسَنَ الشَّيْطَانُ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ
الْمُشْرِكِينَ عِبَادَةَ الشَّمْسِ وَغَيْرَهَا مِنْ قَبَائِحِ الْأَعْمَالِ، فَصَارُوا
يَظُنُّونَهَا حَسَنَةً، فَصَرَفَهُمْ بِذَلِكَ التَّزْيِينِ عَنِ اتِّبَاعِ الطَّرِيقِ
الْمُسْتَقِيمِ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ لَطَّرِيقِ الْحَقِّ.

أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْمَخْبُوءَ فِي السَّمَوَاتِ، كَالْمَطَرِ،
وَالْمَخْبُوءَ فِي الْأَرْضِ، كَالنَّبَاتِ وَالثَّمَارِ وَالْكُنُوزِ وَالْمَعَادِنِ،
وَكَالْأَمْوَاتِ الَّذِينَ يُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا تُضْمِرُونَ فِي
صُدُورِكُمْ، وَمَا تُظْهِرُونَ مِنْ أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ.

اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ وَحَدَهُ، مَالِكُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الَّذِي
لَا يُشَبِّهُهُ عَرْشُ مَلِكَةٍ سَبَاً وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْعُرُوشِ؛ فَهَذَا الْمَلِكُ
الْعَظِيمُ السُّلْطَانُ هُوَ مَنْ تَتَّبِعِي عِبَادَتَهُ وَطَاعَتَهُ وَحَدَهُ.

قَالَ سُلَيْمَانُ لِلْهَدُودِ: سَتَنْظُرُ فِيمَا أَخْبَرْتَنَا بِهِ لَنَعْلَمَ هَلْ صَدَقْتَ
فِيهِ فَتَعَذَّرَكَ، أَمْ أَنْتَ كَاذِبٌ مِنَ الْكَاذِبِينَ؟

قَالَ سُلَيْمَانُ لِلْهَدُودِ: اذْهَبْ إِلَى أَهْلِ سَبَاً بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ
الْمَكْتُوبَةِ، فَارْمِهَا إِلَيْهِمْ، ثُمَّ انصَرَفَ وَتَنَحَّى عَنْهُمْ إِلَى مَوْضِعٍ
قَرِيبٍ مِنْ مَلِكَةِ سَبَاً وَقَوْمِهَا، وَانْظُرْ جَوَابَهُمْ وَمَا يَتَرَاكَعُونَ بِهِ
بَيْنَهُمْ مِنَ الْكَلَامِ.

قالت مَلِكَةُ سَبَأَ لِأَشْرَافِ قَوْمِهَا بَعْدَ أَنْ قَرَأَتْ كِتَابَ سُلَيْمَانَ:
يَا أَيُّهَا الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ، لَقَدْ رُمِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ حَسَنٌ مِنْظَرُهُ،
جَلِيلٌ قَدْرُهُ، شَرِيفٌ كَاتِبُهُ.

قَرَأَتْ مَلِكَةُ سَبَأَ الْكِتَابَ عَلَى قَوْمِهَا فَقَالَتْ: إِنَّ الْكِتَابَ مِنْ
سُلَيْمَانَ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

أَلَّا تَتَكَبَّرُوا وَتَمْتَنِعُوا عَلَيَّ، بَلْ اخْضَعُوا لِي، وَانْقَادُوا لِمَا
أَمْرُكُمْ بِهِ، وَأَقْبِلُوا إِلَيَّ مُنْقَادِينَ مُذْعِنِينَ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ.

قالت مَلِكَةُ سَبَأَ لِأَشْرَافِ قَوْمِهَا: يَا أَيُّهَا الْأَشْرَافُ، أَشِيرُوا
عَلَيَّ، وَبَيِّنُوا لِي: مَاذَا أَفْعَلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ؟ مَا كُنْتُ لِأُسْتَبَدَّ بِرَأْيِي
فِي أَمْرِ عَامٍّ وَمُهِمٍّ، حَتَّى تَحْضُرُوا عِنْدِي وَتُشِيرُوا عَلَيَّ فِيهِ.

قال الْأَشْرَافُ الَّذِينَ اسْتَشَارَتْهُمْ مَلِكَةُ سَبَأَ: نَحْنُ أَصْحَابُ قُوَّةٍ
بِالْمَالِ وَالرَّجَالِ وَالْعِتَادِ، وَأَصْحَابُ شِدَّةٍ وَعِزٍّ فِي الْحَرْبِ، فَإِنْ
شِئْتَ أَنْ نَحَارِبَ سُلَيْمَانَ فَلَا مَانِعَ لَدَيْنَا، وَقَدْ فَوَّضْنَا الرَّأْيَ إِلَيْكَ
فِي قِتَالِ سُلَيْمَانَ أَوْ مُسَالَمَتِهِ، فَفَكِّرِي فِيمَا تَأْمُرِينَنَا بِهِ، وَنَحْنُ
عَلَى اسْتِعْدَادٍ لَطَاعَتِكَ، وَتَنْفِيزِ أَوْامِرِكَ.

قالت مَلِكَةُ سَبَأَ: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا مَدِينَةً بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ،
نَهَبُوهَا وَخَرَّبُوهَا، وَأَهَانُوا كُبَرَاءَهَا وَأَشْرَاقَهَا، بِاسْتِعْبَادِهِمْ، أَوْ
إِذْلَالِهِمْ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالنَّفْيِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَتِلْكَ عَادَةُ الْمُلُوكِ
إِذَا دَخَلُوا مَدِينَةً بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ: أَنْ يُفْسِدُوهَا، وَيُذِلُّوا أَعَزَّةَ أَهْلِهَا.
قالت مَلِكَةُ سَبَأَ: وَإِنِّي بَاعِثَةٌ رِسَالًا إِلَى سُلَيْمَانَ وَقَوْمِهِ بِهَدِيَّةٍ
عَظِيمَةٍ، فَنَاضِرَةٍ مَا سَتَرَجُعُ بِهِ رِسْلِي مِنْ خَبَرِ وَحَالِ سُلَيْمَانَ
وَقَوْمِهِ، وَهَلْ يَقْبَلُ هَدِيَّتَنَا وَمَهَادِنَتَنَا، أَوْ يُصِرُّ عَلَى أَمْرِهِ بِالْإِتْيَانِ
إِلَيْهِ مُسْلِمِينَ.

فَلَمَّا وَصَلَ وَفَدُ مَلِكَةً سَبَأً إِلَى سُلَيْمَانَ بِالْهَدَايَا، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ
عَدَمَ مَجِيئِهِمْ إِلَيْهِ مُسْلِمِينَ كَمَا أَمَرَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ مُتَغَيِّظًا:
أَتُعْطُونَنِي مَالًا لِأَتَرْكَكُم عَلَى شِرْكِكُمْ؟! فَمَا أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ
النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْأَمْوَالِ وَنَعِيمِ الدُّنْيَا: أَفْضَلُ مِمَّا أَعْطَاكُمْ، أَنَا لَا
أَفْرَحُ بِهَدِيَّتِكُمْ هَذِهِ، وَلَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ الَّذِينَ
تَفْرَحُونَ بِمَا يُهْدَى إِلَيْكُمْ.

قَالَ سُلَيْمَانُ لِأَمِيرِ الْوَفْدِ: ارْجِعْ إِلَى مَنْ أَرْسَلَكَ بِهَذِهِ الْهَدِيَّةِ،
فَإِنْ لَمْ يَأْتُوا إِلَيَّ مُسْلِمِينَ فَسَأَرْسِلُ إِلَيْهِمْ جُنُودًا لَا طَاقَةَ لَهُمْ
بِقِتَالِهِمْ، وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ أَذْلَاءَ مُهَانِينَ إِنْ لَمْ يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ.

قَالَ سُلَيْمَانُ لِحُجَّاسَيْهِ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ: يَا
أَيُّهَا الْأَشْرَافُ، أَتَيْكُمْ يُحْضِرُ لِي كُرْسِيَّ الْمُلْكِ لِمَلِكَةٍ سَبَأٍ قَبْلَ أَنْ
تَحْضُرَ إِلَيْنَا هِيَ وَقَوْمُهَا مُسْلِمِينَ؟

قَالَ مَارِدٌ قَوِيٌّ وَشَدِيدٌ مِنَ الْجِنِّ: أَنَا أُحْضِرُ لَكَ عَرْشَهَا قَبْلَ
أَنْ تَنْهَضَ مِنْ مَجْلِسِكَ، وَإِنِّي قَوِيٌّ عَلَى حَمْلِ الْعَرْشِ، أَمِينٌ عَلَى
مَا فِيهِ.

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ بَكِتَابِ اللَّهِ: أَنَا أُحْضِرُ لَكَ الْعَرْشَ قَبْلَ أَنْ
يَرْجِعَ إِلَيْكَ بَصْرُكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ مَدَّ بَصْرَكَ، فَاتَى
الْعَرْشَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ، فَلَمَّا رَأَى سُلَيْمَانُ ثَابِتًا نُبُوَّتًا حَقِيقًا بَيْنَ يَدَيْهِ،
قَالَ: هَذَا التَّمَكُّنُ وَالْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ الَّذِي أَنَا فِيهِ حَتَّى حُمِلَ إِلَيَّ
الْعَرْشُ فِي قَدَرٍ ارْتِدَادِ الطَّرَفِ- مِنْ عَطَاءِ رَبِّي عَلَيَّ؛ لِيُخْتَبِرَنِي
أَأَشْكُرُ نِعْمَتَهُ، أَمْ أَكْفُرُهَا فَلَا أَشْكُرُهُ، وَمَنْ شَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ
فَإِنَّمَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَتِهِ، وَمَنْ كَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَمْ
يَشْكُرْ، فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِهِ، وَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهِ، كَرِيمٌ فِي

نَفْسِهِ وَإِنْ لَمْ يُعْبَدْ، فَعَظَمَتُهُ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى أَحَدٍ؛ وَمُتَفَضِّلٌ بِإِنْعَامِهِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ حَتَّى عَلَى مَنْ يَكْفُرُ بِهِ.

قَالَ سُلَيْمَانُ: غَيِّرُوا مَعَالِمَ وَهْيَتِهِ عَرْشَ مَلِكَةٍ سَبِيًّا؛ لِنَنْظُرَ: أَتَعْرِفُ أَنَّهُ عَرْشُهَا أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ هُوَ؟ فَلَمَّا جَاءَتْ مَلِكَةُ سَبِيًّا إِلَى سُلَيْمَانَ، وَرَأَتْ عَرْشَهَا بَعْدَ تَغْيِيرِهِ، قِيلَ لَهَا: هَلْ عَرْشُكَ الَّذِي تَرَكْتِهِ فِي بِلَادِكَ مِثْلُ هَذَا الْعَرْشِ الَّذِي رَأَيْتِهِ؟! قَالَتْ مَلِكَةُ سَبِيًّا: هَذَا الْعَرْشُ يُشَبِّهُ جِدًّا عَرْشِي الَّذِي تَرَكْتُهُ فِي بِلَادِي! قَالَ سُلَيْمَانُ: وَآتَانَا اللَّهُ الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ مَلِكَةٍ سَبِيًّا، وَكُنَّا طَائِعِينَ وَمُنْقَادِينَ لَهُ سُبْحَانَهُ.

وَمَنْعَ مَلِكَةَ سَبِيًّا عَنِ الْإِسْلَامِ عِبَادَتُهَا الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ! لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ رَاسِخِينَ فِي الْكُفْرِ بِاللَّهِ، فَنَشَأَتْ بَيْنَهُمْ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَلَّدَتْهُمْ فِي دِينِهِم.

قِيلَ لِمَلِكَةِ سَبِيًّا: ادْخُلِي هَذَا الْبِنَاءَ الْمُرْتَفِعَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَلِكَةُ - وَهُوَ مَبْنِيٌّ بِالزُّجَاجِ وَتَحْتَهُ مَاءٌ - حَسِبَتْهُ مَاءً، وَأَظْهَرَتْ سَاقِيَهَا حَتَّى تَخْوِضَ فِي الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْتَئَلَ ثِيَابُهَا، قَالَ سُلَيْمَانُ لَهَا: هَذَا الَّذِي حَسِبْتِهِ لَجَّةً إِنَّمَا هُوَ بِنَاءٌ مَمْلُؤٌ مَبْنِيٌّ مِنْ زُّجَاجٍ، قَالَتْ مَلِكَةُ سَبِيًّا: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بَعَادَةَ غَيْرِكَ، وَالسُّجُودَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِكَ، وَأَذَعَنْتُ وَانْقَدْتُ وَاسْتَسَلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ، طَائِعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، مُتَابِعَةً لِسُلَيْمَانَ وَمُقْتَدِيَةً بِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكِهِ وَمُدَبِّرِهِ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَبِيلَةِ ثَمُودَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ صَالِحًا، فَأَمَرَ هُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِذَا قَوْمٌ صَالِحٌ فَرِيقَانِ: مُؤْمِنُونَ وَكَافِرُونَ، يَخْتَصِمُونَ فِي الدِّينِ، وَكُلٌّ يَقُولُ بَأَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ.

قال صالح: يا قوم، لأيّ شيءٍ تَطْلُبُونَ عذابَ الله، ولا تَطْلُبُونَ رحمته؟! هَلَّا تَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ كُفْرَكُمْ وَمَعَاصِيَكُمْ كي يَرْحَمَكُمْ؟

قال مُشْرِكُو ثَمُودَ لِنَبِيِّهِمْ صالح: تَشَاءُ مِنَّا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَنحنُ نُصِيبُنا المصائبَ والمكارهَ بِسَبَبِكُمْ! فقال صالح لِقَوْمِهِ: ما يُصِيبُكُمْ مِنْ مَكْرُوهِ فَإِنَّمَا جاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ، وَوَقَعَ عَلَيْكُمْ بِإِذْنِهِ؛ بِسَبَبِ ذُنُوبِكُمْ، بل أَنْتُمْ قَوْمٌ يَخْتَبِرُكُمْ رَبُّكُمْ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وكان في مدينة ثمودَ تِسْعَةُ أَنْفُسٍ يُفْسِدُونَ في الأَرْضِ بِالْكَفْرِ والمعاصي، ولا يُصْلِحُونَ فيها بوجهٍ مِنَ الوجوه.

قال التِسْعَةُ المُفْسِدُونَ في الأَرْضِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تحالَفُوا باللهِ وتعاهدُوا على اغتيالِ صالح وأهله ليلاً، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ نَقُتِلَ صالحاً وأهله خُفِيَةً نَقُولُ لِقَرِيبِ صالح الَّذِي لَهُ حَقُّ المِطالَبَةِ بِدَمِهِ: ما حَضَرْنَا هَلاكَ صالحٍ وأهلِ بَيْتِهِ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ في ذلك!

وَدَبَّرَ التِسْعَةُ المُفْسِدُونَ تَدْبِيرًا لِقَتْلِ صالحٍ وأهله، وَمَكَّرْنَا بِهِمْ مَكْرًا أَعْظَمَ مِنْ مَكْرِهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفِيَّةَ تَدْبِيرِنَا إِهْلَاكِهِمْ.

فانْظُرْ -يا مُحَمَّدُ- كَيْفَ كانَ آخِرُ أَمْرِ مَكْرِ المُفْسِدِينَ مِنْ قَوْمِ صالح حِينَ أَرادُوا قَتْلَهُ وأهله، أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ وَأَهْلَكْنَا جَمِيعَ قَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ.

فَنَظَرَكَ مَساكِنُ ثَمُودَ قَدْ صارت خراباً خاليةً مِنْ أَهلِها؛ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِشَرِكِهِمْ وَتَكْذِيبِ رَسولِهِمْ، وَقَتْلِهِمْ نَاقَةَ اللهِ، إِنَّ

في ذلك لَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى الْحَقِّ لِمَنْ يَعْلَمُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ وَحِكْمَتَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْحَقَائِقِ.

وَأُنَجِّينَا مِنْ سَخَطِنَا وَعَذَابِنَا صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَّقُونَ سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ، فَيَتَجَنَّبُونَ الشِّرْكََ وَالْمَعَاصِيَ، وَيَعْمَلُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَخَافُونَهُ.

وَاذْكُرْ لَوْطًا حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: أَتَفْعَلُونَ الْفِعْلَةَ الْمُتَنَاهِيَةَ فِي الْقُبْحِ، وَالْخَطِيئَةَ الْفُظْيَةَ الشَّنِيعَةَ -وهي إتيانُ الذُّكُورِ فِي أَدْبَارِهِمْ- وَالْحَالَ أَنْكُمْ تُبْصِرُونَ أَنَّهَا فَاحِشَةٌ؟!

قَالَ لَوْطٌ لِقَوْمِهِ: أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الذُّكُورَ فِي أَدْبَارِهِمْ؛ مِنْ أَجْلِ الشَّهْوَةِ، وَتَتْرَكُونَ إِيَّانَ فُرُوجِ النِّسَاءِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللَّهُ لَكُمْ؟! بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ سَفَهَاءُ جَهْلَةٌ، مُتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ، مُتَجَرِّئُونَ عَلَى مُحَارِمِهِ.